أ.د. أحمد الطيب
شيخ الأزهر - مصر

الحوار

الخلاف المذهبي والصراع الموهوم

أكد الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الجديد، حرصه الشديد على تطوير التعليم الأزهري، ومواصلة المسيرة التي بدأها الدكتور محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر الراحل. وقال الطيب في مؤتمر صحافي عقده في مكتبه منذ فترة ، إن تركيزه الشديد ينصبّ على النهوض بالتعليم الأزهري، وتطويره كل ٥ سنوات. وأضاف أنه سيفتح ملف التعليم الأزهري بشكل كامل، وبخاصة التعليم قبل الجامعي، نافيا أن تكون لديه نية لإلغاء مادة الفقه المذهبي، التي يتم تدريسها في مراحل التعليم المختلفة في الأزهر، التي أقرها شيخ الأزهر الراحل، الدكتور محمد سيد طنطاوي، واستبدال الفقه المتخصص بها.

وقال شيخ الأزهر إن موضوع الفقه المتخصص

يتم بحثه في إطار بحث ملف التعليم الأزهري كله، ومن ضمنه مادة الفقه، وهذا الموضوع سيدرس بالتعاون بين الأزهر، وعلماء مجمع البحوث الإسلامية، ووزارة الأوقاف، وعدد من الخبراء والرموز الكبيرة في الأزهر.

وأكد الطيب أن دور الأزهر مستمر في الحوار بين الأديان، وكذلك في الحفاظ على الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط، وكذلك في الحفاظ على وحدة المسلمين والتقريب بين سائر المذاهب الفقهية، سواء للسنة أو الشيعة، مشيرا إلى أن الأزهر لعب، ولا يزال، دورا رائدا في التقريب بين المذاهب الفقهية، وبخاصة أن الأزهر يعمل كبوتقة تجمع المذاهب الفقهية كلها التي يدرسها طلاب الأزهر.

كما تعهد شيخ الأزهر الجديد الدكتور أحمد الطيب بالحفاظ على "وسطية الأزهر واعتداله" والعودة إلى زيّه "الجبة والعمامة" ، بعد قرار الرئيس المصري حسني مبارك بتعيينه خلفًا للراحل سيد طنطاوي الذي وافته المنية في السعودية إثر أزمة قلبية.

وقال الإمام الأكبر رقم ٤٨: " الخبر كان مفاجأة لي, ولم أكن أعلم به, فسافرت كعادتي إلى أهلي بالقرنة (بالأقصر جنوب مصر) بعد انتهاء اجتماع مجلس جامعة الأزهر, وفوجئت

Archive of SID
www.SID.ir

بإعلامي بالخبر".

وأضاف أنه سيضع خطة لعمل المشيخة من أجل رفعة شأن الإسلام في العالم.

ورحبت الأوساط الأزهرية بقرار تعيين الدكتور الطيب شيخا للأزهر، ليصبح بذلك رقم ٤٨ في تاريخ المشيخة.

فمن جانبه، تمنى الشيخ محمود عاشور رئيس دار التقريب بين المذاهب بالقاهرة، ووكيل الأزهر السابق وعضو مجمع البحوث الإسلامية، أن يعين الله الدكتور الطيب على مهمة النهوض بالأزهر، وأن يحقق على يديه آمال المسلمين، مؤكدا أن الدكتور الطيب من الشخصيات التي تحتل مكانة علمية مرموقة، ولديه اعتزاز كبير بأزهريته.

والطيب ينتمي لإحدى أعرق العائلات بمحافظة الأقصر, جنوب مصر وتخرج من كلية أصول الدين عام١٩٦٩, وتدرج في وظائف السلك الجامعي, وحصل على الدكتوراه من جامعة "السوربون" في العقيدة والفلسفة الإسلامية, وعمل مفتيا للديار المصرية عامي٢٠٠٢ و٢٠٠٣, ثم عين رئيسا لجامعة الأزهر.

وحين كان رئيسا للجامعة كان بانتظاره واحد من أكثر أدواره المثيرة للجدل السياسي في ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٦ عندما تفجرت القضية المعروفة باسم "ميليشيات الأزهر" عقب

تنظيم طلاب ملثمين من جماعة الإخوان المسلمين عرضاً اعتبره البعض عسكريا، داخل الجامعة، فيما أصرت الجماعة على كونه "استعراضاً رياضياً"، حينها اتخذ الطيب موقفاً حاسماً ضد الطلاب، وانتهت القضية بثمن سياسي باهظ دفعته الجماعة بعد إحالة عدد من أبرز قياداتها إلى المحاكمة العسكرية، على خلفية قضية "الميليشيات".

ويتمتع شيخ الأزهر الجديد بعلاقات وثيقة مع الدوائر الرسمية، والحزب الوطني الديمقراطي، شهدت ذروتها في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٧ عندما تم اختياره ليكون عضواً بالمكتب السياسي للحزب خلال مؤتمره العام والذي استقال منه مؤخرا.

ويبدأ الطيب مهامه الجديدة على كرسي شيخ الأزهر، غير القابل للعزل بحسب البروتوكول الرسمي، محملاً بتركة ثقيلة خلّفها الدكتور محمد سيد طنطاوي طوال ١٤ عاماً خاض فيها الراحل العشرات من المعارك الفكرية والسياسية، وينتظر الكثيرون من شيخ الأزهر الجديد، حامل الرقم ٤٨، أن ينجح في صياغة مفهومه الخاص لدور الإمام الأكبر.

شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب اعلن أن مكانة الأزهر قد تراجعت وفقد عالميته ، وأكد انه سيعمل على أن يقدم مناهج جديدة لهذه المؤسسة.

وقال الطيب إن الأزهر يحتاج إلى قفزة نوعية كبيرة في الفترة المقبلة كما يجب أن يعود إليه الصوت القوي الذي اجتمعت عليه القوى الاسلامية.

Archive of SID
www.SID.ir

وأوضح أن دور الأزهر تراجع بسبب انتشار الفلسفة الماركسية التي حاربت الدين لانه «افيون الشعوب» مشيرا إلى أن أساتذة الأزهر سافروا الى دول مجلس التعاون في السبعينات وضاعت منهم وسطية الأزهر وتبنوا بعد ذلك اتجاهات سلفية متشددة.

من جانب آخر، قال شيخ الأزهر الجديد إنه لن يحضر أي مؤتمر يثبت أن به اسرائيل ولكنه لا يجد ضررا في لقاء اليهود، وأكد أن الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق أقسم له أنه لم يكن يعرف شيمون بيريز رئيس الكيان الاسرائيلي حين صافحه، مضيفا أنه لن يزور القدس والأقصى في عهد الاحتلال حتى لا تستفيد إسرائيل من الزيارة.

وأكد الطيب أنه لن يمنع النقاب بأسلوب حاد كما فعل الدكتور طنطاوي ولكنه سيعالجه بشكل أكثر هدوءا وبالحوار مع الفتيات مشيرا إلى أن النقاب ليس فرضا وإنما هو عادة.

وشدد على أنه لم يُفت مطلقاً بإباحة عمل المسلم في تقديم الخمور لغير المسلم في الدول الأوروبية أو في الفنادق, كما نفى أن يكون شيخاً للطريقة الأحمدية (الخلوتية) إحدى الطرق الصوفية, مؤكداً أنه يحب التصوف وعلوم التصوف فقط ويعلم هذه الطرق ويقرأ كثيراً

عنها.

وإذ أوضح أن أول قرار اتخذه كشيخ للأزهر هو منع تهنئته في إعلانات الصحف والمجلات, أكد الطيب, الذي بدأ مزاولة عمله في مقر مشيخة الأزهر, أنه "سيحافظ قدر الإمكان على كل ما أضافه فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ سيد طنطاوي في فترته التي قضاها شيخاً للأزهر", مشددا على ضرورة "العمل على أن يكون الأزهر المرجعية العليا للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها, وهو الحارس لوسطية الإسلام والمسلمين".

وأشار إلى أن انفتاحه على الغرب وعلمه بلغتهم سوف يفيده في تجديد الخطاب الديني الذي "يحتاج إلى مراجعة وتجديد", مؤكداً "أن تجديد الخطاب الديني ليس فكراً غربياً لأنه من عمق الفكر الإسلامي".

وبشأن ما تردد عن أن اختياره شيخاً للأزهر كونه قريباً من السلطة وأحد أعضاء لجنة السياسات في مصر, أكد الطيب أنه ليس مقرباً من السلطة, قائلاً "السلطة لا تعرفني إلا من خلال الصحف, والذي يقول هذا الكلام فليأت لي بمظهر من مظاهر هذا التقرب".

وعن تخوف "الإخوان المسلمين" كونه جاء شيخاً للأزهر على غير رغبتهم وأنه كان صاحب

Archive of SID
www.SID.ir

الشهادة المشهورة بالعرض العسكري التي أدخلت قيادات كثيرة منهم إلى السجن, قال الطيب "أنا لا أخوف الإخوان أو غيرهم, إنما أعبر عن مؤسسة أزهرية علمية أكاديمية بحثية تعليمية تبلغ الإسلام إلى الناس, ونحن لسنا منظمة أو تنظيماً, ومن يعمل معنا في هذا الإطار نرحب به, أما أن يستغل الإسلام والأزهر لترويج أمور أخرى, فهذا ما نرفضه".

وشدد الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر على أنه سيقف ضد التيارات التي تحتكر الحقيقة وتتجاهل الروافد المتعددة التي صاغت العقل الإسلامي عبر تاريخه الطويل، مؤكدا أن دوره في المرحلة المقبلة هو تحقيق الانفتاح على التنوعات التراثية التي تضمن للعقل الأزهري أن يكون عقلا حواريا، ينفر من الانكفاء على مذهب واحد يؤمن به، ويعمى عن المذاهب الأخرى.

وأكد شيخ الأزهر في حديثه أنه يدرس خطة لتطوير الدراسة في الأزهر في مختلف مراحل التعليم الأزهري تتناسب مع متغيرات المرحلة المقبلة، لافتا إلى أن الأزهر ليس مؤسسة حزبية أو طائفية وإنما هو مؤسسة علمية أكاديمية عالمية، وليس له أجندة سياسية، وأن هدفه الأول والأخير النهوض بهذه المؤسسة العريقة

وتقوية دورها كحصن منيع للدفاع عن الإسلام.

وأشار إلى أن استراتيجيته تتركز في نشر ثقافة الاعتدال والتسامح ونشر تعاليم الإسلام الوسطي السمح، والتأكيد على الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب المصري، والحوار بين الأديان والحضارات. كما تطرق الحديث إلى بعض القضايا الإسلامية المطروحة على الساحة في الوقت الراهن.

■ أعلنتم فضيلة الإمام خطة لتطوير التعليم بالأزهر، فما هي ملامح هذه الخطة؟

□ شغلي الشاغل منذ بداية عملي كرئيس لجامعة الأزهر وحتى هذه اللحظة إصلاح التعليم الأزهري، وخطتنا تتمثل في تطوير المناهج الدراسية في مراحل التعليم قبل الجامعي بما يضمن تخريج طالب أزهري قادر على التعامل مع متغيرات العصر، يجمع في ثقافته بين الأصالة والمعاصرة، وسوف نستكمل أيضا مسيرة تطوير التعليم في جامعة الأزهر والتركيز على ربط الطالب الأزهري بتراثه العلمي الإسلامي دون المساس بالثوابت والمقررات الشرعية، وعموما سوف نركز في المرحلة القادمة على ثقافة الجودة في التعليم الأزهري بشقيه الديني والعلمي، والعمل على دعم وتوسيع قاعدة التعليم التكنولوجي والفني الذي يقدمه

Archive of SID
www.SID.ir

الأزهر.

■ ذكرتم أنكم ستركزون في عملية تطوير التعليم في جامعة الأزهر على ربط الطالب الأزهري بتراثه العلمي الإسلامي، فما الجدوى من وراء ذلك .

□ لاشك أن ربط الطالب الأزهري بتراثه العلمي الإسلامي سيحقق منفعة كبيرة في تأسيس الطالب تأسيسا صحيحا وتكوينه تكوينا علميا تراثيا، لأن التراث هو الكفيل بالقضاء على التشدد والتطرف، لأن تراثنا تراث حواري وتعددي يُعلي مبدأ تقبل الرأي الآخر، فعلومنا الإسلامية علوم خلافيات وحواريات وبحث عن دليل، فهذا النظام التعليمي وما يتركه من بصمات سيكولوجية في شخصية الدارس يجعله مستعدا لتقبل ممارسة هذا المبدأ، الأمر الذي يحميه من الأفكار المتطرفة، لذلك لا تجد متطرفا يتخرج من الأزهر.

■ وماذا عن تطوير مناهج إعداد الدعاة والنهوض بالخطاب الديني..؟

□ نعمل على إعداد منهج لتطوير الخطاب الديني يستهدف دعاة يملكون القدرة على التواصل العالمي مما يتطلب صقل القدرة على الإقناع الأمر الذي يتطلب بالضرورة إتقان اللغات ووسائل التكنولوجيا الحديثة، حيث نسعى لاستعادة دور الأزهر على المستوى الدولي

لنشر ثقافة الاعتدال وتعريف العالم بصحيح الدين.

■ هناك بعض المشكلات التي تعاني منها المؤسسة الأزهرية خصوصا مشكلة التعليم ومحاولات اختراق المؤسسة التعليمية الأزهرية، كيف تواجهون هذه المشكلات؟

□ أولا يجب أن يعلم الجميع أني لست بعيدا عن مشكلات الأزهر ومشكلات التعليم قبل الجامعي فيه، بحكم عملي كرئيس لأعرق جامعة في العالم وهي الجامعة الأزهرية فضلا عن عملي بجوار الإمام الراحل الدكتور محمد سيد طنطاوي في المجلس الأعلى للأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، وسوف أعمل في إطار أن الأزهر هو القلعة الكبرى للثقافة الإسلامية والمرجعية للعقل الإسلامي أينما كان، وسأعمل جاهدا على فتح ملف التعليم الأزهري بشكل كامل، وسنعمل على الاستعانة بالخبراء والمتخصصين لتطوير المناهج الأزهرية في مختلف مراحل التعليم الأزهري التي أرى أنها تحتاج إلى تطوير كل خمس سنوات، وفيما يتعلق بمحاولة اختراق بعض التيارات السياسية أو الفكرية أو الدينية لجامعة الأزهر أؤكد أن الأزهر يمثل القلعة الحصينة للثقافة الإسلامية، ولا يمكن اختراقها بأي حال من الأحوال، وأنا أزهري حتى النخاع وما يتفق مع الأزهر ومع مبادئه الراسخة منذ أكثر من ألف

Archive of SID
www.SID.ir

عام هو صديقي وأرحب به، أما من يهدم المبادئ التي تربينا عليها أو يريد أن ينشر فكرا غير فكر الأزهر فسنقف له بالمرصاد الفكري، لأن التعليم الأزهري يؤهل الدارس لفهم الإسلام فهما صحيحا: عقيدة وشريعة وسلوكا، فهو يقوم على تأصيل قاعدة التعددية وقبول الآخر، والانفتاح على التنوعات التراثية التي تضمن للعقل الأزهري أن يكون عقلا حواريا، ينفر من الانكفاء على مذهب واحد يؤمن به، ويعمى عن المذاهب الأخرى التي صاغت العقل الإسلامي عبر تاريخه الطويل، هذا هو تراثنا الذي كان السبب الرئيسي في صنع حضارة إنسانية كبرى ما زالت حتى هذه اللحظة موضع دهشة كثير من علماء الحضارة في الشرق والغرب.

■ بحكم دراستكم في جامعة السوربون التي حصلتم منها على درجة الدكتوراه واحتكاك فضيلتكم بالثقافة الغربية، وبالتالي فهم العقلية الغربية، كيف ترون مستقبل الحوار مع الغرب وما هي العقبات التي تقف في طريق هذا الحوار؟

□ أولا أود أن أصحح لك معلومة وهي أنني حضّرت رسالة الدكتوراه في السوربون ولكن تم مناقشتي وحصولي عليها من جامعة الأزهر، أما عن مسألة الحوار مع الغرب أؤكد لك أن

المسلمين يدخلون هذا الحوار من منطلق الإيمان بالتعددية الدينية والثقافية والحضارية، وهذه التعددية إنما تعود إلى الحقيقة الكونية والإنسانية التي يؤكدها القرآن الكريم وهي أن الله تعالى لو أراد أن يخلق الناس على عقيدة واحدة ولغة واحدة ولون واحد وثقافة واحدة لفعل، لكن لم يرد هذا التماثل والتوحد، وشاءت إرادته أن يخلق الناس مختلفين في كل ذلك بل شاءت إرادته أن يستمر قانون الاختلاف بين البشر لغة وعقيدة ولونا وثقافة إلى آخر لحظة في عمر هذا الكون كما جاء في قوله تعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ]، هذه الحقيقة ترتب عليها ترتيبا منطقيا حقيقة أخرى هي أنه إذا ما أريد للناس أن يعيشوا في سلام حيثما كانوا وكيفما كانت عقائدهم وثقافاتهم فإن العلاقة بينهم يجب أن تنحصر في علاقات التعاون والاحترام المتبادل، وهي العلاقة التي سماها القرآن الكريم بالتعارف في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا] ففي هذا تأكيد وحدة الأصل الإنساني وتأكيد ضرورة التآخي بين أبناء الأب الواحد والأم الواحدة ومن هنا يستبعد الإسلام كليا فلسفة الصراع في علاقات الأمم والشعوب، لكن للأسف وجدنا في هذا

Archive of SID
www.SID.ir

العصر بالذات هجوما حادا على الإسلام من قبل مؤسسات غربية سياسية ودينية وتوجيه الاتهام لهذا الدين العظيم باعتباره دين عنف وإرهاب، على الرغم من الجهود التي بذلت لتصحيح تلك الصورة الخاطئة في العقل الغربي فإن هناك عقبات كثيرة حالت دون ذلك أهمها عقبة التعميم من جانب بعض الغربيين الذين يعممون أحكامهم المسيئة الى الإسلام والمسلمين انطلاقا من تصرفات شاذة تحدث من جانب فئة ممن لا يفهمون حقيقة الإسلام وفي المقابل فإن بعض المسلمين لم يتخلصوا من عيب التعميم وانطلقوا في حكمهم على الغرب كله بأنه عدو للإسلام والمسلمين، لكن الأمر غير هذا فلا بد أن يتخلص الطرفان من عيب التعميم حتى يثمر الحوار ويحدث التقارب والتفاهم بين الطرفين لتحقيق السلام والتعايش السلمي بين الشعوب والحضارات.

■ وماذا عن علاقتكم بالإعلام، وكيف ستتعاملون مع وسائل الإعلام خلال المرحلة المقبلة؟

□ نحن نقدر دور الإعلام الذي يؤدي رسالته بأمانة وصدق وإن شاء الله سيكون هناك تنظيم للعلاقة مع وسائل الإعلام، بحيث يكون هناك توحيد لمصدر المعلومة التي ستحصل عليها وسائل الإعلام حتى لا تحدث بلبلة، ونحن الآن أمامنا

ملفات كثيرة نقوم بدراستها ربما تحتاج منا بعض الوقت للبت فيها.

■ وماذا عن الوحدة الوطنية؟

□ هي أول شيء سأهتم به لأنني سأحرص على الحوار مع الثقافات والحضارات والأديان الاخرى بالاضافة الى الانفتاح عليهم لان الازهر هو المرجعية الكبرى في جميع أنحاء الارض ومشارقها ومغاربها وتربطنا علاقة وطيدة بالإخوة المسيحيين وعلى رأسهم البابا شنودة بابا الاسكندرية.

■ عندما كنت رئيساً بجامعة الازهر كنت تحرص على حوار الأديان وعقدت العديد من المؤتمرات من أجل ذلك هل ستواصل تلك المسيرة؟

□ نعم بكل تأكيد لأن هذا الشيء أؤمن به وعندما كنت في واشنطن في حوار الحضارات والاديان, وهذه الجزئية بالتحديد سأهتم بها وأضع خطة شاملة لتنفيذها بشكل واسع.

■ البعض اتهم الأزهر في الفترة الماضية بضعف مكانته ما رأيك في ذلك؟

□ الأزهر هو قلعة الاسلام وحصن المسلمين وأي مؤسسة في التاريخ لابد أن يصيبها نوع من الاستكانة وسوف أعمل جاهدا على عودة الأزهر لمكانته, وإن كانت لم تقل ولكني سأحرص على تطويره في المرحلة المقبلة.

■ ماذا عن علاقتك بالمؤسسات الدينية

Archive of SID
www.SID.ir

الأخرى؟

□ تربطني علاقة صداقة بالدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الاوقاف والدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية وسوف نعمل جميعا على توحيد كلمة الاسلام والمسلمين والفتاوى التي تصدر عن تلك المؤسسات.

■ ماهي القضايا التي سيناقشها مجمع البحوث الاسلامية في الفترة المقبلة بعد أن تصبح رئيسا له؟

□ المجمع سيناقش القضايا المستجدة والتي ستطرح على الساحة بالاضافة الى القضايا المحالة إليه من البرلمان والجهات المعنية لإبداء الرأي الشرعي فيها والمجمع يعتبر أكبر جهة إسلامية لإصدار الفتوى لأنه يضم كبار علماء المسلمين في جميع العلوم الشرعية وسوف أحرص على إصدار الفتاوى الخاصة بالقضايا الشائكة من خلال المجمع لسد الطريق على أصحاب فوضى الفتاوى.

■ ماذا عن جبهة علماء الازهر خاصة بعد بيانهم الاخير, ومهاجمتهم شيخ الأزهر الراحل بعد وفاته؟

□ الكلام في هذا الامر سابق لأوانه وأقول لمن يهاجم الامام الراحل إنه لايستحق منا ذلك خاصة انه مشهود له بالاعتدال والوسطية ولم يخالف الله والدين في آرائه.

■ ماهي الخلفيات الكامنة وراء الصراعات المذهبية بين أبناء الأمة الواحدة؟

□ لعل النظر المتأني في بحث الخلفيات الكامنة وراء الصراعات المذهبية بين المسلمين, يثبت أن لها أسبابا خارجية وداخلية, وأن الأسباب الخارجية أهون شأنا من تلك التي يصنعها المسلمون فيما بينهم عن وعي, أو عن غير وعي.

ويجب أن نعترف بأن الرابضين هناك من وراء البحار نجحوا في تحقيق ما نذروا له أنفسهم من خدمة عقائدهم وشعوبهم.

ولعلنا لا نبالغ لو استنبطنا في ضوء الواقع الذي نعيش فيه, أن الغرب يمارس على الإسلام والمسلمين نوعا من التسلط يخدم أهدافه ومطامعه في المنطقة, وما مشروع الشرق الأوسط الجديد بخاف ولا ملتبس على من يحمل هموم هذه الأمة وآلامها وآمالها, ومعلوم أنه مشروع تجزئة وتفتيت وتقطيع أوصال, وأن رأس الحربة فيه هو إذكاء الفتنة كلما أمكن, وبعثها حيثما وجدت, وكيفما كانت: طائفية أو مذهبية أو عرقية أو دينية, بين المسلمين أنفسهم, والمسلمين وغيرهم من أبناء الأديان الأخرى, وإذا كان الاستعمار الغربي قد نجح في القرنين الماضيين في ضرب وحدة الأمة, واستطاع أن يقسمها إلى أقطار ودول, فإنه اليوم يعيد

Archive of SID
www.SID.ir

السياسة نفسها, ومازال مبدؤه الاستعماري فرق تسد هو خطته الجهنمية التي تعمل عملها الآن في بلاد العرب والمسلمين تحت مسميات عدة, ومازالت الأمة, للأسف الشديد, تبتلع الطعم نفسه, وما أظنني بحاجة إلى تقديم الحجج والبراهين, فالعراق الجريح وأضرابه لا يتماري اثنان في أنه طعم ابتلعته الأمة بعلمائها قبل مسؤوليها, وإذن فهاهنا فتنة تبعثها الحروب المذهبية التي تطل برأسها القبيح في هذه الآونة, وتشعل العنف بين الشيعة والسنة والوهابية والصوفية والسلفية وغيرها, وهي حروب يذكيها صراع موهوم لا مبرر له, ولو أننا استعرضنا أصول الشيعة وأصول أهل السنة في ضوء قواعد الإيمان والإسلام فهل نجد على مستوى العقل أو النقل مبررا واحدا لهذه الدماء البريئة المظلومة التي سالت أنهارا من الفريقين؟! هل القول بالنص على إمامة علي كرم الله وجهه, أو القول بعصمة الإمام, أو انحصار الأئمة في عدد معين من آل البيت يخرج من الإسلام؟ أو يرقى إلى أن يكون فيصلا للتفرقة يخرج أو يدخل في الإسلام؟ وهل المذهب الذي يرى أن الخلافة شورى بين المسلمين, وأن الأنبياء والمرسلين هم وحدهم المعصومون من الخطأ يبرر محاربة القائلين بهذا المذهب, وذبحهم والتمثيل بأجسادهم؟

هل ذهاب السنة أو الشيعة لزيارة آل البيت والأولياء والصالحين, والتوسل بهم يجعل دماءهم حلالا وقتلهم واجبا على من ينكر التوسل, وزيارة القبور؟ وهل أن الذي يفعله الصوفي أمر يشوش على العقيدة؟ أليس الواجب دينا وشرعا على من ينكر ذلك أن يبذل الجهد في تعليمهم وإرشادهم؟ ولماذا تنفق الملايين في حملات التكفير والتفسيق والتبديع وتقسيم الأمة, وزرع السخائم والأحقاد في القلوب, ولا ينفق درهم واحد في سبيل توعيتها ووحدتها ولم شملها في إطار الأخوة الإسلامية التي حث عليها القرآن الكريم؟

في اعتقادي أن هذا الحوار العنيف الذي نشهده الآن بين أكبر طائفتين من طوائف الأمة الإسلامية, الذي سرعان ما تحول إلى مواجهة دامية محزنة مبعثه في المقام الأول تضخيم الخلافات المذهبية أولا, وتصويرها على أنها الحق الذي لا مرد له, وأن مخالفتها فسوق وابتداع إن لم يكن كفرا وخروجا من الملة, ولو أن هذه الخلافيات درسها الشيوخ أو المعنيون بها لتلاميذهم دراسة علمية فقهية صحيحة, لا يحثهم على ذلك إلا وجه الله, ووجه العلم والحق, لكان خيرا لهم وللمسلمين, وإنني لا أزال أذكر كيف كانت دراساتنا في الأزهر منذ نعومة أظفارنا دراسة تقوم على التعددية والخلاف والرأي

Archive of SID
www.SID.ir

والآراء الأخرى, وبخاصة في الفقه وفي علم الكلام حيث الاختلافات الحادة بين الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية والشيعة والسلف والخلف والصوفية, ولم يحدث أن تحولت هذه الخلافيات يوما إلى مواجهات عنيفة بين الطلاب.

ومما يؤسف له أن الحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان قد تداخلت كثيرا في أمر هذه الخلافيات, وأصبح من المألوف لدى البعض من أتباع هذا المذهب أو ذاك أن ينفي غيره ويستبيح لنفسه ألا يسلم عليه إذا لقيه في الطريق, وزاد من تفاقم الخطر أن هذه الخلافيات لم تعد مقصورة على قاعات العلم والدرس كما كانت قبل ذلك, وإنما نزل بها دعاتها ليسوقوها في الشوارع والمساجد والدروس في المدن الجامعية وفي البيوت, ولنتصور مدى خطر الحديث عن هذه الخلافيات بين الدهماء والبسطاء والشباب الثائر المندفع بطبيعته, وقد صاحبت ذلك أشرطة وكتيبات, وفي السنوات القليلة الأخيرة انتقلت هذه المعارك إلى الفضائيات وشاهدنا على شاشاتها الحروب الجدلية الطاحنة بين السنة والشيعة مرة, والسلفية والصوفية مرة أخرى, والوهابية وغيرها مرة ثالثة, واستنكر الناس ما سمعوا ولم يصدقوا أعينهم هم يرون العلماء من الفريقين يتقاذفون بينهم القول بتحريف القرآن الكريم, وتكفير ما سموه القبوريين وغير

ذلك من الدعوات التي ما أشك لحظة في أنها تبعث بين الحين والحين لتحقيق أغراض سياسية ولا تجني الأمة من ورائها نفعا ولا فائدة غير المزيد من الانقسام والتشرذم, وقد أعلن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف استنكاره الرسمي لهذا الجدل الدائر على شاشات الفضائيات.

ولقد قارنت بين علاقة السنة والشيعة أيام الإمام شرف الدين الموسوي صاحب المراجعات, والشيخ سليم البشري, والشيخ شلتوت, وهذه الأيام التي نعيشها الآن, وبدا لي أن دعوة التقريب التي بدأت في مصر وبمباركة الأزهر وشيوخه, وانطلاقا من وسطية الأزهر واعتداله, كانت تصب دائما في مصلحة إخواننا الشيعة, ولا يفيد منها أهل السنة شيئا يذكر في مجال التقريب, وأكتفي في التدليل على هذه الدعوى بالرجوع إلى المراجعة الرابعة في مراجعات الإمام عبدالحسين الموسوي التي يخاطب فيها شيخ الأزهر آنذاك الشيخ سليم البشري بقوله:

نعم يلم الشعث وينتظم عقد الاجتماع بتحريركم مذهب أهل البيت, واعتباركم إياه كأحد مذاهبكم, حتى يكون نظر كل من الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية إلى شيعة آل محمد صلى الله عليه وسلم كنظر بعضهم إلى بعض, وبهذا يجتمع شمل المسلمين, وينتظم عقد اجتماعهم.

Archive of SID
www.SID.ir